

أضواء البيان

@ 258 وقوله : { أَمْ رَهًا وَزَيِّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَارِيحِ

وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وصرح بأن من أراد استراق السمع أتبعه شهاب راصد له في مواضع أخر كقوله : { فَمَنْ

يَسْتَمِعِ الْأُنَّ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا } وقوله : { إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ

السَّمْعَ فَأَتَيْعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ } وقوله : { إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ

فَأَتَيْعَهُ شَهَابٌ ثاقِبٌ } وقال : { إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ }

وقال : { أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتُوا مُسْتَمِعِينَ }

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } وهو تعجيز دال على عجز البشر عن ذلك عجزاً مطلقاً ، وقال : {

أَمْ لَهُمْ مٌ لَكُمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي

الْأَسْمَانِ جُنْدٌ مَّا هُنَّالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَنْحَارِ } فقولته في هذه الآية

الكريمة : { فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْمَانِ } ، أي فليصعدوا في أسباب السموات التي

توصل إليها . وصيغة الأمر في قوله : { فَلْيَرْتَقُوا } للتعجيز وإيرادها للتعجيز دليل

على عجز البشر عن ذلك عجزاً مطلقاً . وقوله جل وعلا بعد ذلك التعجيز : { جُنْدٌ مَّا

هُنَّالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَنْحَارِ } يفهم منه أنه لو تنطع جند من الأحزاب للارتقاء في

أسباب السماء أنه يرجع مهزوماً صاغراً داخراً ذليلاً ، ومما يدل على أن الآية الكريمة

يشار فيها إلى شيء ما كان يظنه الناس وقت نزولها إبهامه جل وعلا لذلك الجند بلفظة ما في

قوله : { فِي مَا } وإشارته إلى مكان ذلك الجند أو مكان انهزامه إشارة البعيد في قوله

: { هُنَّالِكَ } ولم يتقدم في الآية ما يظهر رجوع الإشارة إليه إلا الارتقاء في أسباب

السموات . .

فالآية الكريمة يفهم منها ما ذكرنا ، ومعلوم أنها لم يفسرها بذلك أحد من العلماء ،

بل عبارات المفسرين تدور على أن الجند المذكور الكفار الذين كذبوه صلى الله عليه وسلم ،

وأنه صلى الله عليه وسلم سوف يهزمهم ، وأن ذلك تحقق يوم بدر أو يوم فتح مكة ، ولكن كتاب

الله لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام ، ففي كل حين تفهم منه

أشياء لم تكن مفهومة من قبل ، ويدل لذلك حديث أبي جحيفة الثابت في الصحيح أنه لما سأل

علياً رضي الله عنه هل خصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ؟ قال له علي رضي الله عنه : لا

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلاً في كتاب الله وما في الصحيفة الحديث

فقوله رضي الله عنه : إلا فهما يعطيه الله رجلاً في كتاب الله يدل على أن فهم كتاب الله

